رب خطبة قالت لصاحبها دعني

الخطيب رجل مؤتمن من الدولة، وأجير لديها، يعمل بمقابل مادي يستوفيه كل شهر من أموال الوطن مقابل عمله، وتقلَّد المنبر بناء على ثقة الدولة به وبعلمه وعقله، ومن الواجب عليه أن يراعي المصالح المجتمعية الكبرى، وأن يحافظ على الوئام والانسجام، وأن يكون حاضر الذهن متَّقد الفكر فلا يشق الصف، أو يزيد الحنق، أو يؤلب الناس والعالم بآراء لم يلق لها بالاً، ولا طائل من ورائها إلا الفرقة والخصام والعداوة، وأن يكون وطنه ومصالح وطنه مقدمة عنده عن الأممية والحزبية والانتماءات الشرقية والغربية، وأن يقتدي بحكامنا وعلمائنا الكبار في تعاملهم مع الناس وصبرهم وأناتهم وسعة أفقهم وحرصهم على وطنهم وأبناء وطنهم.

والخطيب يقوم بعمل مهم جداً، هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتذكير الناس بما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم، والحديث عن مشاغلهم ومشاكلهم وتعاملاتهم اليومية، ومناقشتها من منظور إسلامي متسامح ومعتدل، دون غلو ولا تفريط، ولا شطط ولا توبيخ ولا نعي، والخطيب قدوة، ينبغي له أن يتمتع بالحكمة والوعي والعلم والثقافة والحلم وسعة الصدر، وأن يتحدث بهدوء ولطف ولين دون تكلّف أو مبالغة أو تعالٍ، وعليه أن يعلم بأن الذين يستمعون إليه منهم العالم والأمّي، والوزير والموظف، والكبير والصغير، والعاقل وغير ذلك، وأن هؤلاء الناس متعددو المشارب والمذاهب والخبرات، وأن من بينهم من هم أعلم وأحكم وأكبر سناً وشأناً منه، وأن من بينهم من هو في الطريق إلى الانغماس في الغلوِّ، وبعضهم على جرفٍ هارٍ، والبعض الآخر من

obeikandi.com

المؤلفة قلوبهم، ومن حديثي الإسلام، أو من الذين عادوا - بعد إعراض - لارتياد المساجد من جديد، وليس من المقبول أمام هذا الجمع أن يصبح الخطيب آمراً ناهياً، ولا زاجراً ومؤنباً، ولا أستاذاً ولا مؤدباً، ولا منفراً من الدين، ولا داعية إلى تشدد، كما أنه ليس من المقبول أن يكون حديثه نخبوياً وهو يخاطب عامة الناس.

ثم إن عليه احترام المسلمين جميعاً، سعوديين وغير سعوديين، وأن يتجاوز بيئته ومدينته وقريته وجماعته ومذهبه وعاداته وقناعاته الشخصية لينظر بعين الصقر إلى خارطة العالم كله، مثلما ينظر إليه العالم على أنه خطيب (سعودي) ، يتحدث من جوار البقاع المقدسة، فهناك مسلم أمريكي بناتُه لسن على ملَّته، ويعشن حياة مجتمعهن بطولها وعرضها، وهناك مسلم مصري، يجد في بلاده أسلوب حياة آخر لا يشابه أسلوب حياتنا، وهناك مسلم فلبيني يعمل مع زوجته الممرضة في مستشفياتنا، وهناك وهناك شعوب مسلمة ليست على مذهبنا ولا عاداتنا ولا تقاليدنا، ولا ينبغي للخطيب الحكيم أن ينعي عليهم حالهم ويلزمهم بحالنا، ولا أن يطالبهم باتباع مذهبنا ولا تمثّل عاداتنا.

ثم إن كثيراً من الأمور هي في واقعها خلافية، وليست فيصلاً بين الإسلام والكفر، حتى يقوم الخطيب بتقسيم المسلمين إلى فسطاطين بسببها، أو يبيح لنفسه التعدي على الناس بسبب قناعاته هو، وعليه إن استحسن رأياً أن يبين الأسباب ويذكر المقاصد والمآلات، ويستعرض آراء العلماء المختلفة حوله، ثم يرغّب الناس في الاختيار بهدوء، وليس إجبارهم على ما رآه، ومثلما له عقل يميز فإن لهم عقولاً يميزون بها ويختارون.

وعلى الخطيب أن يدرك أن الحديث عن قضايا المجتمع وظواهره أمر يخضع للنسبية باستمرار، ولذلك هو أشبه بحقل أشواك يجب الانتباه إليه، ومن قال قد هلك الناس فهو أهلكهم، لأن الحكم على الناس جميعاً ليس من العدل ولا الحكمة، بل هو تهور وحماقة، وهما صفتان لا تليق بخطيب.

أخيراً، فإن على الخطيب انتقاء ألفاظه وتمحيص كلماته قبل نطقها، ولا يطلق

العنان للسانه، ولا يجعل الدافع وجدانه، وإنما عقله، كما أن عليه اختيار مواضيعه التي يرى أن الناس بحاجة إليها، وأن يبتعد عن بعض المواضيع الهامشية والخلافية قدر الإمكان، وأن لا ينساق لتبني رأيٍ في أمر مستجد حتى يتبين له الصواب، لكي لا ينكص ويعود عن رأيه كما فعل كثير من قبله، وأن يركز جلَّ جهده على القيم والأخلاق والمعاملات، تلك الأمور الدائمة التي لا تقبل التغيير ولا الجدال، كالصدق والأمانة والعدل وحسن المعاملة والإخلاص وغيرها، وأن يذكر الناس بالعبادات بين فينة وأخرى، وينأى عن الشكليات والمظاهر، وأن يترك الأحكام المعلبة، ويبتعد عن التصنيف، وعن لغة السب والشتم والتهديد، وأن يقترب لهموم الناس اليومية إن أراد منهم الاقتراب منه والأنس به والاجتماع حوله.

obeikandl.com